تعريف ونقد

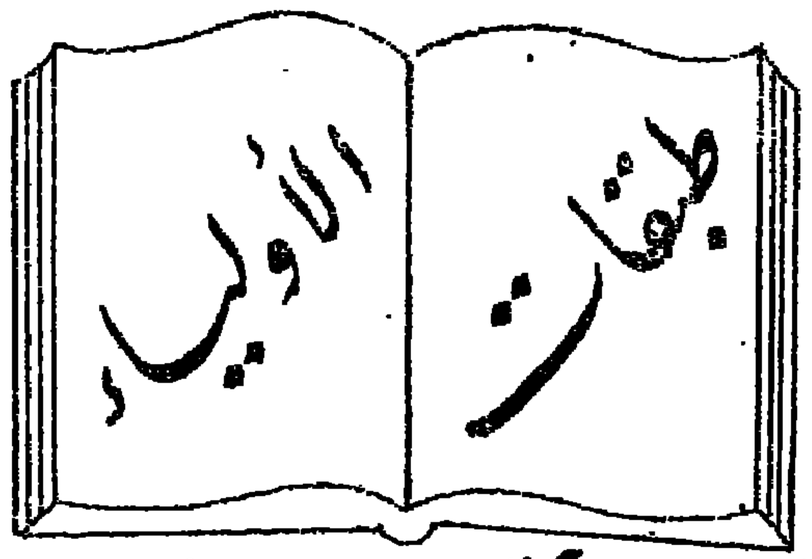

تأليف :
ابن الملقن المصرى

تحقيق وتخريج : الأستاذ نور الدين شريبة
تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يعد هذا الكتاب امتدادا لما كتب فى رجال التصوف من تراجم ، ويأتى بعد كتابى « طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، وكتاب « مجمع الأخبار ، فى مناقب الأخيار » لمحمد ابن حسن بن القاسم الحسينى المتوفى سنة ٧٧٦هـ وهما الكتابان الرائدان فى كتب تراجم المتصوفة وأعلام التصوف الإسلامى حتى زمان كل مؤلف منهما . وقد كان هذان الكتابان هما السائدان قبل أن يضع ابن الملقن المصرى كتابه (طبقات الأولياء) فى أواخر القرن الثامن الهجرى .

ولقد كان لمحقق كتابنا هذا المرحوم الدكتور نور الدين شريبة فضل تحقيق كتاب «طبقات الصوفية» وتقديمه إلى المكتبة العربية منذ سنين ، ثم جاء اليوم — وبعد دراسات طويلة فى التصوف الإسلامى — ليحقق لنا كتاب (طبقات الأولياء) لابن الملقن المصرى .

والحق أننا بهذين الكتابين اللذين حققهما المرحوم الدكتور شريبة فى تراجم رجال التصوف قد استطعنا أن نحصل على كتابين مهمين فى كتب تراجم الصوفية . ولعل الله يأذن لبقية كتب تراجم رجال التصوف أن ترزق من يحققها تحقيقا يليق بمكانتها فى المكتبة العربية ، وأعنى بهذه البقية ثلاثة من أهم كتب التراجم وهى : (نفحات الإنس من حضرات القدس) لمولانا عبد الرحمن الجامى المتوفى بمدينة هراة سنة ٨٩٨ هـ ، و(لواقح الأنوار ، فى طبقات الأخيار) للإمام الصوفى المصرى الكبير عبد الوهاب الشعرانى سنة ٩٧٣ هـ ، ويعرف باسم (طبقات الشعرانى الكبرى) ، و(الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية) لعبد الرءوف المناوى المصرى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ .

ويضم كتاب ابن الملقن ثلاثين ومائتى ترجمة رئيسية غير التراجم الفرعية . بدأها بترجمة إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١هـ ، وختمها بترجمة الصوفى شهاب الدين القونوى المتوفى بعد سنة ٧٨٧ هـ . والقونوى هذا كان معاصرا لابن الملقن وامتد به الأجل فعاش بعد أن كتب صاحبنا كتابه هذا .

وإذا كان « طبقات الأولياء» لابن الملقن قد وصل حبل التراجم للصوفية بدءا من الزمن الذى أتم فيه السلمى كتابه ، فإن أهميته ترجع إلى أنه وهو يترجم لمتصوفة من القرنين السابع والثامن ينقل عنهم مباشرة أو عن الجيل القريب الذى عاصرهم . فهو لا ينقل عن تراجم مدونة ولكنه ينقل عن رجال بذواتهم أوعن آخرين عاصروهم .

وإذا كان أبو عبد الرحمن السلمى قد لجأ فى طبقاته إلى مفهوم كلمة الطبقة عند رجال الحديث والجرح والتعديل ، وهى الجيل من الرجال يعيشون فى زمن واحد ويدركهم عصر واحد بحيث يمكن أن يأخذ بعضهم عن بعض — فإن ابن الملقن المصرى قد وسع مفهوم الطبقات إلى أوسع حد بحيث لم يفته أن يتبع فى ترتيب التراجم نظام الحروف الهجائية . فالأعلام المبدوءة بالسين — مثلا — يأتى بعضها مع بعض ، والمبدوءة بالقاف تتضام كلها إلى بعضها بعضا ، وهكذا الشأن فى بقية حروف الهجاء بدءا من الهمزة إلى الياء .

وتختلف القدر المخصص لكل ترجمة تبعا لأهمية المترجم له ، ووفقاً لما تجمع لدى ابن الملقن من أخبار عنه ، فقد تقصر الترجمة حتى لا تزيد على ثلاثة أسطر ، كما فى ترجمة الولى الصالح شهاب الدين القونوى وغيلان السمرقندى ، والقاسم بن عثمان الجوعى ، وأبى جعفر النجار ، وظالم ابن محمد السائح . وقد تطول الترجمة فتزيد على عشر صفحات ، كترجمة إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وترجمة بشر الحافى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ، وترجمة أبى القاسم الجنيد المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ، وترجمة ذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥هـ .

على أن ابن الملقن حين أوجز فى بعض التراجم الهامة — كما فعل فى ترجمته الوجيزة جدا للقطب عبد القادر الجيلانى — فإنه كان ينوى أن يفرده بترجمة مستقلة فى كتاب خاص ، كما وعد بذلك فى ختام ترجمته للجيلانى . وقد وفى الرجل بوعده فأفرد ترجمة مطولة فى سيرة الولى عبد القادر الجيلانى ، أسماها : (درر الجواهر ، فى مناقب الشيخ عبد القادر) وهى لاتزال مخطوطة ومنها نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة أخرى فى خزانة الأوقاف ببغداد .

والذى يهمنا أن نعرفه عن كتاب (طبقات الأولياء) لابن الملقن أنه يطبع لأول مرة بعد أن ظل محجوبا فى خزائن الكتب الخاصة لقرون كثيرة ، وأن منه نسخا خطية أولاها وأقدمها هى التى تضمها خزانة الكتب الآصفية بحيدر أباد الدكن فى الهند ، وهى النسخة التى اعتمدها المحقق لتحقيق النص : وثانيتها مخطوطة خزانة الأوقاف ببغداد وقد قام بتصويرها للمحقق الوزير السابق حسن عباس زكى وقدم مصورتها للدكتور نور الدين شريبة للاستعانة بها فى التحقيق . وثالثتها مخطوطة الخزانة الظاهرية بدمشق. وعلى

الرغم من اختصارها الشديد لطبقات ابن الملقن ، وإغفالها لكثير من التراجم فقد استأنس بها المحقق ، وإن كانت فائدتها فى التحقيق ضئيلة ، وغناؤها يمكن الاستغناء عنها ، ولكن المرحوم نور الدين شريبة استند إليها : ولم تكن عنده أكثر من سند ضعيف :

ومؤلف طبقات الأولياء التى هى معرض النقد والتعريف اليوم هو سراج الدين عمر ابن على بن أحمد المصرى المشهور بابن الملقن ، وهذه النسبة ليست لوالده ، ولكنها إلى زوج أمه الذى كفله منذ طفولته بعد وفاة والده ، وكان يقرئ القرآن ، ويلقنه فنسب صاحبنا إليه ، ودعى بابن الملقن وإن كان هو نفسه لا يرضى عن هذه النسبة التى تلحقه بغير أبيه ، وكان يؤثر عليها : (ابن النحوى) التى اشتهر بها أبوه الحقيق لازوج أمه . وأصل والده من مدينة (وادى آش) بالأندلس ، وهى إحدى مدن كورة ألبيرة ولا تبعد عن غرناطة أكثر من أربعين ميلا : وجاء الوالد إلى مصر مهاجرا لغير سبب معروف ، وقد يكون ذلك لطلب الأمن أو التماس الرزق واتخذها دار إقامة له ، وتزوج بها سيدة أنجبت له ولده عمر مؤلف كتابنا هذا . ويبدو مما ذكره ابن فهد صاحب «لحظ الألحاظ» أن هذه السيدة تنتمى إلى أصول مغربية ، فهى مصرية بالإقامة والمنشأ لا غير : وعاش ابن الملقن منذ العقد الثالث من القرن الثامن الهجرى ، وأدرك طرفا من القرن التاسع حيث توفى سنة ٨٠٤ هـ .

وتتلمذ ابن الملقن على طائفة من أعلام الشيوخ فى مصر ، كالتقى السبكى والد تاج الدين السبكى صاحب « طبقات الشافعية » ، والكمال النشائى ، وعز الدين بن جماعة ، وأبى حيان الغرناطى ، وابن هشام الأنصارى النحوى اللغوى المشهور ، وابن سيد الناس المحدث . وقطب الدين الحلبى وغيرهم :

أما خزانة كتبه فقد تحدث بها الركبان ، وكانت تجمع كل ثمين ونادر من المخطوطات ، ويقول عنه السخاوى المؤرخ صاحب (الضوء اللامع) : (عنده من الكتب مالا يدخل تحت حصر). ويقول المقريزى وهو يتحدث عن مكتبة ابن الملقن الخاصة إن الذى أعانه على إنشائها : (كثرة المال ، ورخاء الأسعار ، وقلة العيال) . ومن المؤسف أن هذه المكتبة الحليلة القليلة النظير قد أصيبت بحريق هائل أتى على معظم مافيها ، وحزن عليها « ابن الملقن » حزنا استوجب العزاء من أهله وأصحابه ، حتى لقد قال ولده « على » يعزيه فيها :

لا يزعجنك ياسراج الدين أن
لعبت بكتبك ألسن النيران
لله قد قربتها ، فتقبلت
والنار مسرعة إلى القربان . . .

وفعلت النكبة فى ابن الملقن فعلتها . فأصيب بذهول عظيم بسبب هذا الحادث

الذى لم يكن فى تقديره ، وتغيرت حاله ، وكاد يفقد رشده ، فحجبه ولده (على) عن الناس ، وظل على ذلك وقتا إلى أن مات محسورا فاقد الإدراك ، وقد كان مضرب المثل فى رجحان العقل ، وسلامة السلوك .

وبعد ؛ فهذا هو أبو حفص عمر بن على ابن أحمد المصرى المعروف بابن الملقن ، وهذا هو كتابه « طبقات الأولياء » الذى حققه وخرجه الدكتور نور الدين شريبة ، وأصدرته مكتبة الخانجى بالقاهرة فى ست وعشرين وستمائة صفحة . وقد زاد المحقق الجهد فصنع للكتاب عدة فهارس تعين على المراجعة والبحث والإفادة من الكتاب على أيسر الوجوه :

وهى فهارس آيات القرآن الكريم ، وثبت الأحاديث النبوية الواردة بالكتاب ، وكشاف اصطلاحات الصوفية ، وفهرس أعلام الأشخاص والقبائل والأمم ، وفهرس أعلام الأماكن والبقاع ، وجريدة الكتب الواردة فى الصلب والحواشى . وقد تكون تلك الفهارس أكمل وأكثر تحقيقا للفائدة لو أن المرحوم محقق الكتاب أضاف إليها فهرسا للأشعار والأراجيز التى وردت فى الكتاب . وما أكثر تلك الأشعار التى ساقها المؤلف من نظم المترجم لهم أو من إنشادهم أو من استشهادهم . ويبدو أن المؤلف ابن الملقن كان محبا للشعر كثير الإيراد له والاستشهاد به . على الضد من المحقق رحمه الله الذى لم يكن بينه وبين الشعر ألفة ، ولم يكن ذا بصر به ، ولا وزن له . ومن هنا كان مأتى الكتاب من ناحية الشعر الذى لم يستقم وزنه بين يدى المحقق . فاختل الميزان بين يديه ؛ وجاء أكثر ماورد فى الكتاب من الشعر مكسورا غير سوىّ ولامستقيم . وعلى الرغم من عناية المحقق بالتحقيق ومقابلة النسخ ، والإحالة على كتب الطبقات والتراجم لاستكمال مصادر الترجمة للمترجم لهم ، فاتته فى الشعر مواضع كثيرة جدا ضاع فيها الوزن واختل الميزان . . . ونحن نورد فيما يلى قدرا كبيرا من ملاحظاتنا وتصويباتنا لما ورد فى الشعر من أخطاء وأوهام لم يفطن إليها المحقق ، وكان من واجبه أن يفضى بها إلى بصير بالشعر أو خبير به ليقيم أودها ، ويصلح فاسدها ، وما فى ذلك بأس ولا عيب على المحقق إذا لم يكن ذا بصر بالشعر ، أو علم بالعروض والقوافى . وإنا لنطمع — إذا قدر الله لهذا الكتاب أن يعاد طبعه — أن يتولى أحد المخلصين تصحيح هذه الأخطاء حتى تصدر الطبعة الثانية على وجه يرضى روح المؤلف ، ويرضى روح العلم التى يجب أن تسود فى كل زمان . . . وفيما يلى ملاحظاتنا وتصويباتنا :

* فى صفحة ٥٣ — ورد البيت الآتى من بيتين لقائل :

أو ماحسب عين
أن ترى من قد رآكا

والصدر مكسور ، وصحته :

أو ما حسب لعيني
أن ترى من قد رآكا

* فى صفحة ٧٣ — ورد البيت الآتى من بيتين من الشعر المعزوّ إلى ابن عطاء الأدمى :

إذا حدثته بالهوى أظهر الجفا
ويعلم منى أننى لست أذنب

والصدر غير مستقيم الوزن لما حدث فيه من تقديم وتأخير ، وصوابه :

إذا بالهوى حدثته أظهر الجفا
ويعلم منى أننى لست أذنب

* فى صفحة ١١١ — ورد البيت الآتى مما أنشده « بشر الحافى » :

وليس من يزوّق لى دينه
يغرنى — ياقوم — تزويقه

والصدر مكسور ، وصحة البيت على أن يكون الفعل (يزوق) ماضيا ، فيصير هكذا :

وليس من زوّق لى دينه
يغرنى ياقوم تزويقه

* فى صفحة ١١٨ — ورد البيت الآتى هكذا :

رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى
فلست أسلك إلا واضح الطرق

وحق حرف السين من كلمة يسرى أن يضبط بالضم بدلا من السكون على الأصل ليستقيم الوزن .

* فى صفحة ١٣٣ — ورد البيت الآتى من شعر سمعه « الجنيد » :

فإن كنت اقترفت خلال سوء
فعذرى فى الهوى أفلا تعود

والشطر الثانى لامعنى له ، وصوابه :

فإن كنت اقترفت خلال سوء
فعذرى فى الهوى ألا أعود

* فى صفحة ١٣٥ — ورد البيت الآتى من شعر أنشده الجنيد :

وإن امرأ باع دنيا بدينه
لمنقلب منها بصفقة خاسر

والشطر الأول مكسور لنقصان لفظ ، وصوابه :

وإن امرأ قد باع دنيا بدينه . . . ألخ

* فى صفحة ١٤٢ — ورد البيت الآتى :

سرى وسرك لايعلم به أحد
إلا الجليل ولاينطق به نطق

ولامعنى للا الحازمة هنا ، والصواب :

سرى وسرك لم يعلم به أحد . . . ألخ

* وفى صفحة ١٤٢ أيضا — ورد البيت الآتى هكذا :

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا
لكيلا يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

والعجز مكسور ولامعنى له على النفى بلا بعد لكى . وصحته :

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا
لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

* فى صفحة ١٤٨ — ورد البيتان الآتيان فى رأس الصفحة :

الشوق والوجد فى مكانى
قد منعانى من القـــرار
همـــا فى لايفارقانى
فذا إشعارى أوذا دثارى

وصدر البيت الثانى مكسور لما حدث فيه من تقديم وتأخير ، وصحته :

فىّ هما لايفارقانى
فذا إشعارى أوذا دثارى

بتقديم حرف الجر فى على الضمير : هما

* فى صفحة ١٥٩ — ورد البيت الآتى من الرجز :

لوشبتُ السلو ماسليت
مابى غ عنك وإن غنيت

والصدر مكسور ؛ لأن الفعل شربت بالماضى حقه : أشرب بالمضارع ، فيصير هكذا :

لو أشرب السلو ماسليت . . . ألخ

* صفحة ١٦٣ — ورد البيت الآتى من بيتين أنشدهما الجنيد وهما :

لافى النهار ولافى الليل لى فرح
فلا أبالى أطال الليل أو قصرا
لأنى طول ليلى هائم دنف
وبالنهار أقاسى الهم والفكرا

وصدر البيت الثانى مكسور ، وصوابه : لأننى طول ليلى هائم دنف . . ألخ بنونين فى لأننى ، لانون واحدة

* فى صفحة ١٦٧ — ورد البيتان الآتيان :

أنا راض بطول صدك عنى
ليس إلا لأن ذاك هواكا
فامتحن بالجفاء ضميرى على الودّ (م)
ودعـــنى معلقـــا برجـــاكا

والبيت الثانى غير مستقيم الوزن ، لأن كلمة الجفاء يجب أن تكون مقصورة لاممدودة ، فإن مدها يكسر الوزن . وبهذا يصبح البيت هكذا :

فامتحن بالجفا ضميرى على الودّ (م)
ودعـــنى معلقـــا برجـــاكا

* فى صفحة ١٦٨ — ورد البيت الآتى هكذا :

وحسّن ظنى فيه أننى فى فنائه
وهل أحد فى كنه يجد القرّا ؟

والصدر مكسور لأن فيه لفظا زائدا . وهو (فيه) . فيجب حذفه ليصير البيت هكذا :

وحسن ظنى أننى فى فنائه .... إلخ

* فى صفحة ١٧٠ ـ ورد البيت الآتى من أبيات أربعة :

بليت بمن لا أطيق عذابـــه
ويعتبنى حتى يقال له الذنب

والصدر مكسور ، لأن الفعل ليس (لا أطيق) ولكنه (لا أستطيع) . والتغيير من أوهام النساخ الجهلة . وبذا يصبح صواب الشعر :

بُليت بمن لا أستطيع عذابه
ويعتبنى حتى يقال له الذنب

* فى صفحة ١٨٨ — ورد البيت الآتى هكذا :

هذا وجود الواجدين له
بين التجانس أصحابى وخلانى

والصدر مكسور لأن هناك كلمة تنقصه وصحته هكذا ، كما جاء فى نسخة الآصفية هذا وجود الواجدين له :... الخ

* فى صفحة ٢٠٦ — ورد البيت الآتى هكذا :

هذه دراهم وأنت محب
ما بقاء الدموع فى الآماق

والصدر مكسور . والدراهم هنا لا معنى لها والصواب :

هذه دارهم وأنت محب . . . إلخ .

* فى صفحة ٢٢٢ — ورد البيت الآتى هكذا :

لك عزم بأن أكون قتيلا
فالصبر عنك ما لا يكـــون

والعجز مكسور . ولامعنى له، وصحته :

لك عزم بأن أكون قتيلا
فلذا الصبر عنك ما لا يكون

* فى صفحة ٢٢٣ — ورد البيت الآتى بعد بيت سابق هكذا :

وعلمتهم علما فباتوا بنوره
وبان لهم منه معالم أسرار
مهامه للغيب ، حتى كأنها
لما غاب عنها منه حاضرة الدار

وصدر البيت الثانى مكسور وناقص ، وصحته :

مهامهه للغيب حتى كأنها . . . ألخ

بإضافة الضمير إلى مهامه .

* فى صفحة ٢٥٩ — ورد البيت الآتى هكذا :

وهل يرجى لزمـــان النوى
ذهـــاب يقصر أذيـــالها

والصدر مكسور . ويستقيم مع الفعل : يرتجى ، بدلا من : يرجى . فيصبح هكذا :

وهل يرتجى لزمان النوى
ذهـــاب يقصـــر أذيالهـــا

* فى صفحة ٢٦١ — ورد البيت الآتى من إنشادات أبى نصر القشيرى :

ليالى الوصل قد مضين كأنها
لآلى عقود فى نحور الكواعب

والصدر مكسور . لأن كلمة : الوصل ، هى الوصال . فيصبح هكذا :

ليالى الوصال قد مضين كأنها
لآلى عقود فى نحور الكواعب

* فى صفحة ٢٦٥ — ورد البيتان الآتيان هكذا :

ولا خلت مهجتى تشكو رسيس جوى
حـر قلبى بريا حبـكم عطـر

ولا رقأت عبرتى حتى تكون لمن
ذاق الهوى وضنى فى عبرتى عبر

وعجز البيت الأول مكسور . وصدر البيت الثانى مكسور وصوابه :

ولا رقت عبرتى حتى تكون لمن ... إلخ
كما جاء فى مخطوطة الآصفية بالهند .

* فى صفحة ٣١٠ — ورد البيت الآتى هكذا :

لو أن الليالى عـذبت بفراقنا
محا دمع عين الليل ضوء الكواكب

بجعل همزة أن همزة قطع ، فانكسر الوزن ولا يستقيم إلا بأن تكون همزة وصل هكذا .

لو ان الليالى ... ألخ .

* فى صفحة ٣٢٦ — ورد البيت الآتى من بيتين أنشدهما يحيى بن معاذ الرازى :

نفس المحب على الآلام صابرة
لعل سقمها يومـا يداويها

والشطر الثانى مكسور . وصحته (لعلها سقمها يوما يداويها) .

* فى صفحة ٣٩٢ — ورد البيت الآتى هكذا :

إن دمعى لشاهد على الحب
دليل بـأن حزنى طويل

وصدر البيت غير مستقيم الوزن لأنه ناقص ، وكماله وصحته هكذا :

إن دمعى لشاهد لى على الحب
دليل بـأن حزنى طويل

* فى صفحة ٤٥١ — ورد البيت الآتى مما قاله الشيخ الولى على بن أبى الحسن الحريرى عن نفسه :

فقـير ولكن من صلاح
وشيخ ولكن للفـوق إمام

والصدر مكسور لأنه ناقص . وكماله وصحته :

فقير ولكن من صلاح وعفة
وشيخ ولكن للفسوق إمام

وبعد ، فنرجو أن نكون بهذه الملاحظات قد صححنا ماجاء فى شعر (طبقات الأولياء) لابن الملقن من أوهام وأخطاء ، سائلين الله لمحققه المرحوم الدكتور نور الدين شريبة أن يجزيه الله خيرا على ما أسداه للتصوف الإسلامى من أياد ، بما نشره من كتب ، وما كتبه من بحوث ودراسات .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

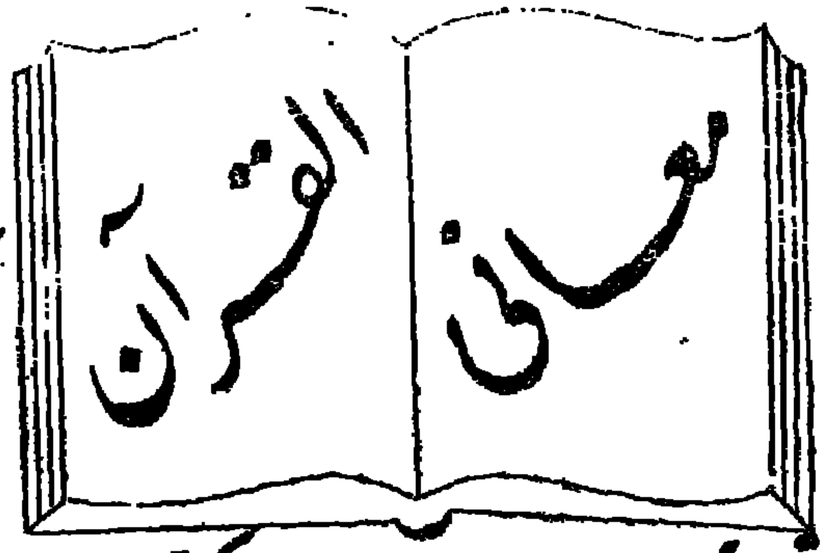

تأليف : الأخفش الأوسط

تحقيق : الدكتور فائز فارس

تعريف ونقد : الأستاذ سعيد الأفغانى

جزءان فى ٦٦٨ ص من القطع الأوسط مع فهارس عدة

غرة المحرم ١٤٠٠هـ (نوفمبر ١٩٧٩) المطبعة العصرية فى الكويت

أول انطباع كان فى نفسى للأخفش يرجع إلى سنة ١٩٢٩ حين كنا ندرس الحاحظ وكتابه الحيوان وعرض المحاضر الأستاذ شفيق جبرى رحمه الله فى كلية الآداب بالجامعة السورية لما دار بين الجاحظ والأخفش فى خبر خلده الجاحظ فى كتابه (الحيوان) قال :

قلت لأبى الحسن الأخفش : « أنت أعلم الناس بالنحو . فلم لا تجعل كتبك مفهومة كانها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ » أجاب الأخفش :

« أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست شى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى إليه قلّت حاجاتهم إلىّ فيها ، وإنما كانت غايتى المنالة ، فأنا أضع بعضها هذا الموضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا وإنما قد كسبت فى هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلى فى موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ولا يفهم أكثرها ؟

كان الانطباع غير حميد فى نفس ناشئ مولع بالمثل يستفزه الانحراف عنها فى كل ميدان فما بالك فى ميدان العلم ونشره ، ثم علق بذهنى ، وأنا أتصفح سير كبار النحاة فى (بغية الوعاة) قول الأخفش المتعالى بنفسه : « سألنى الكسائى أن أؤلف له كتاباً فى (معانى القرآن) فألفت كتاباً فى المعانى فجعله أمامه وعمل عليه كتاباً فى المعانى ، وعمل الفراء كتاباً فى المعانى عليهما ، وقرأ على الكسائى كتاب سيبويه سراً ووهب لى سبعين ديناراً فتمت للأخفش فى نفسى صورة منذ خمسين سنة . وكنت أشتهى أن أطلع على الكتب الثلاثة فى (معانى القرآن)

كتاب الأخفش وكتاب الكسائى وكتاب الفراء وأسعف الزمان فاطلعت على كتاب الفراء فى أجزائه الثلاثة منذ عشر سنين ولم أحظ بكتاب الكسائى وها أنذا أقدم اليوم كتاب الأخفش بتحقيق الدكتور فائز فارس « عن نسخة وحيدة تحفظها المكتبة الرضوية فى (مشهد) بإيران تحت رقم ٢٢٠ »[1] .

تفتتح هذه النشرة لكتاب الأخفش (معانى القرآن) بمقدمة ضافية بلغت (١٣٠) صفحة ، عرض فيها المحقق لحياة الأخفش فذكر صفاته الخلقية والخلقية ثم عقد فصلا لشيوخه سيبريه ويونس بن حبيب وأبى زيد الأنصارى وأبى مالك الأعرابى وأبى شمر المعتزلى ، وفصلا لتلاميذه الجرمى والجستانى والرياشى وأبى جعفر اليزيدى والناشى والزيادى والتوزى والنيسابورى والمهلبى والأشناندانى والخرمازى وابنى المعذل والكسائى وغيرهم .

أما الفصل الرابع فقصره على مصنفاته مشيدا بمعرفته اللغة والشعر والعروض ولم يفته الإشارة فى علم الكلام إلى اعتزاله وحذقه الجدل ثم ذكر مصنفاته واحداً واحداً مشيرا إلى ما استطاع معرفته من أماكنها اليوم وغير ناس ما طبع منها ، وبذلك أنهى الباب الأول من الكتاب .

أما الباب الثانى فحوى فصله الأول لمحة تاريخية إلى تفسير القرآن وشىء من تاريخ التفسير واتجاهاته وإشارة إلى الكتب الأولى منه التى لا تعدو شرح الغريب والاستشهاد على معناه بأشعار العرب القدماء ووصل من هذه النظرة إلى الكلام على (معانى القرآن) للأخفش فأشار إلى ترتيبه بين مصنفاته ونسخته المخطوطة ومكانة الكتاب . أما الفصل الثانى فمقصور على وصف الكتاب نفسه (ماله وماعليه) فى رأيه ، وفى الفصل الثالث تكلم فى مصادر الكتاب وشواهده القرآنية والقراءات وموقفه منها ثم الشواهد الشعرية وأقوال العرب وأمثالها ثم آراء العلماء . ودار الفصل الرابع حول منهج الأخفش فى كتابه وعرضه لمسائل النحو والصرف ومدى أخذه بالسماع والقياس ، وختم المقدمة بعرض منهجه فى تحقيق الكتاب ، وذيلها بجداول إحصائية للشواهد الشعرية ما نسب منها إلى قائله وما لم ينسب وأنوه هنا بالجدول الذى ذكر فيه مصطلحات الأخفش وما يقابلها من المصطلحات المتداولة اليوم[2] .

فى قراءتى الكتاب ومقدمته خامرنى سرور بما لمست من عزم على التحقيق ، وحيطة فى الأحكام ، وعناية بالفهم على خلاف ما أجد فى الكثير الغالب

---

(١) المقدمة ص ١١٥

(٢) ص ١٢٨ من المقدمة .

من أعمال تدور بها المطابع على أنها تحقيق للتراث ثم لا تجد فيها إلا آثار الادعاء والتلفيق مشفوعة بالألقاب التى أعجب من ما نحيها ؟ أنائمين كانوا أم مغفلين أم جاهلين كان هذا الجهد المبذول بإخلاص بين الجهود المعروضة كل يوم كالدوحة ينعم بها سالك الصحراء . ولكنى — ولابد فى أعمال البشر من لكن — كانت لى وقفات من عمل المحقق أنا عارض لها على ترتيب ورودها :

١ — فى المقدمة ص ١٧ أراد المحقق أن يبرئ الأخفش مما وصفه به الجاحظ من تعقيد واستغلاق فى بيانه فقال : « وفى سهولة كتاب (معانى القرآن) ما ينفى عن الأخفش تهمة التعقيد » .

حسن أن يدفع باحث عن مؤلف تهماً رآها غير واردة ، وأحس منه ألا يغلبه الإكبار له ويصرفه عن الرؤية والروية ؛ وليس الجاحظ وحده اتهمه بالاستغلاق فنى مقدمة المحقق ص ٤٣ قول ابن الخياط لثعلب : « ويحك ، صاحبك هذا مجنون ، ويتكلم بما لا يفهم » واستشهد بقول الأخفش « كم منى مكان السارية رجل ؟ وكم منى مكان السارية ذراع ؟ »

وحسبك ما اعتراف به الأخفش نفسه بقوله : «عملت» كتاب (المائل الكبير) فلم يعرفوا أكثر مافيه »[1] يقصد نحاة الكوفة .

بل خذ من كتابه (معانى القرآن) نفسه شرحه لقوله تعالى : « وإياى فارهبون » حيث قال ص ٧٦ :

« وإياى » وقد شغلت الفعل بالاسم المضمر الذى بعده الفعل ، لأن كل ما كان من الأمر أو النهى فى هذا النحو فهو مصوب نحو قولك : (زيداً فاضرب أخاه) ، لأن الأمر والنهى مما يضمران كثيرا ويحسن فيهما الإضمار ، والرفع أيضا جائز على ألا تضمر ... إلخ .

هل يصل أحد إلى مراد المؤلف من القراءة الأولى ؟ فأين الوضوح ؟ .

ومثلها ما جاء فى ص ٤٠٣ فى شرح الآية « يا أبت لاتعبد الشيطان » من قوله : «ويقف فى القرآن يا أبت » للكتاب فهل يفهم القارئ المبتدى : أن القارئ يقف على هذا التاء تاء مراعاة للرسم فى المصحف ؟

وأدل من ذلك على إبهامه المعنى على القارئ حتى يضطر إلى قصده والجلوس بين يديه سائلا عن المراد ما جاء فى ص ٤٢٣ :

---

(١) ص ٤٣ من المقدمة .

وقال (تعالى) : « والنهار خِلْفة » يقول : يختلفان . اهـ ولم يزد على هذه الكلمة ، فهل يستطيع أحد أن يفهم من هذه الكلمة أن المعنى هو أن الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل ؟ ، إن الكلمة موهمة ، يحار القارئ لها بين معنيين : وجود الاختلاف (؟) بينهما ، ومجيء كل منهما خلف الآخر . ولو أراد الإرشاد إلى المعنى بوضوح وتحديد لقال : (يتعاقبان) وهى كلمة واحدة أيضاً ، وربما كان عيبها عنده الوضوح والتحديد . لا ، لم يكن الحاحظ متجنياً على الأخفش حين قال كلمة الحق فيه : (لم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟) ان كتابه (معانى القرآن) هذا ليس بمنجاة عن هذا الحكم :

٢ — ص ٩٠ من المقدمة علق المحقق على قول بشار فى هجاء سيبويه :

أسيبويه يا ابن الفارسية مالذى
تحدثت عن شتمى وماكنت تنبذ

بقوله فى الحاشية (٢) : هى فى الأغانى بالياء بعد السين (لعله يريد : بعد الواو) ، ولابد من إسقاط هذه الياء ليستقيم البيت من الطويل وهى : (أسيبوه) عند المرزبانى . اهـ قلت : كان المحدثون يكرهون النطق بها كما هو مألوف ، ويلفظونها بضم الباء وفتح الياء ، وبهذا يستقيم الوزن أيضا : أسيبوى . تاج العروس مادة (سيب) .

٣ — روى المحقق فى ص ١١١ من المقدمة أن النحويين عزوا إلى الأخفش تجويزه الفصل بين المضاف والمضاف إليه ... واحتاط فى حكمه على هذه النسبة ، لكنه قال بعد احتياطه ص ١١٢ « وأبو الحسن لم يكن فى حاجة إلى القراءات الشاذة والضعيفة ليضيفها إلى ماوصل إليه » وذلك يوهم أن القراءة التى فصلت بين المضاف والمضاف إليه فيها شذوذ أو ضعف ، وذلك غير صحيح فالقراءة صحيحة قرأ بها عبد الله بن عامر أحد السبعة ، والقاعدة صحيحة ، وكان على النحاة أن يكملوا قاعدتهم بجواز الفصل بين المتضايفين بالظرف أو الجار والمجرور ، أو القسم بقولهم « أو معمول المصدر »[1] ويستشهدوا على ذلك بقراءة عبد الله بن عامر أحد السبعة : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم . . »[1] .

٤ — فى ص ٢٦٠ تناقض بين النص والتعليق : جاء فى الكلام على الآية : « ويقول الذين آمنوا » مايلى :

قال أبو عمرو : والنصب لفعل (يقول) محال ، لأنه لايجوز (عسى الله أن يقول الذين آمنوا)[1] . اهـ

---

(١) انظر كتابى (فى أصول النحو) ص . ٤ فما بعد (الطبعة الثالثة : مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ م) .

أما الحاشية (٣٥) ففيها : قرأ أبو عمرو وحده : « ويقول » نصباً . اهـ

أقول : مافى الحاشية صحيح ، ويبقى الإشكال فى النص نفسه ، فينبغى أن يزال .

٥ ــ فى ص ١٣١ جاء فى الحاشية (٥٢٧) البيت الآتى :

إن يك خيلى قد أصيبت صميمها . . . إلخ

والصواب كما فى المصادر المذكورة ، وما تقتضيه المطابقة فى التذكير هو :

فإن تك خيلى قد أصيب صميمها .. إلخ

٦ ــ فى ص ٣٩٨ فسر الأخفش قوله تعالى « لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين» بقوله :

(أى : لا أزال ، قال الشاعر :

وما برحوا حتى تهادت نساؤهم
ببطحاء ذى قار عياب اللطائم

أى مازالوا) . اهـ

قلت : تفسير الآية هذا سليم ، لكن شاهده غير سليم ، فهو بمعنى (ماذهبوا حتى) على حين معنى الآية (لاأبرح سائرا حتى) .

وعاق المحقق قائلا : (وهو من شواهد أبى حيان فى البحر المحيط ونرى الأخفش يجيز حذف خبر (ما برح) إن دل عليه دليل) اهـ . وتبع المحقق فيه أبا حيان ، والصواب أن (ما برحوا) فى البيت تامة لاناقصة ، بمعنى (ما بارحوا) ، فهى كقول يوسف : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى » :

٧ ــ ص ٤١٥ فى الحاشية (٧) ألفاظ من العبرية والسريانية والسبئية فى صدد شرحه لكلمة صلوات ملأت خمسة أسطر ــ لا لزوم لها البتة فى مثل هذا الكتاب ، ويكفى هنا السطر المنقول عن لسان العرب وأحب حين يكون الموضوع متعلقا بالساميات تصوير اللفظ السامى بأقرب حروف عربية إليه لفائدة القارئ حين تدعو لذلك حاجة .

٨ ــ وهذا اقتراح عام : لا يتضح المراد من شرح أبى عمرو المدرج فى ص ٢٦٠ إلا حين يفتح القارئ المصحف ويمعن فى السياق . واستحب فى مثل هذا إدراج الآيتين فى الحاشية . وقد كان الحفظ فى القديم شائعا فى طلبة العلم فى نحو العاشرة من أعمارهم ، ونتلافى اليوم هذا النقص بإكمال الآية فى الحاشية ، حتى يستوعب القارئ ما يقال فى المتن ، ويتر الشاهد عاتق كبير لفهم المراد.

* * *

حواشى المحقق أقرب إلى الاعتدال والتكثر فى ذكر المصادر بلوى عامة ، وأكثر ما تكون عند غير المحصلين الواعين فإذا كان حكم فى كتاب سيبويه فمصدره كتاب سيبويه فقط ولا لزوم لإدارج كل الكتب التى نقلت عنه منذ عهده حتى

أيامنا هذه ، وكذا الشواهد ، فإذا ذكر الديوان فلا لزوم لذكر الأشمونى وابن عقيل والمفصل وشرحه و . . الخ والأصل فى ذلك التوثيق ذكر المنبع الأول ، ولا تثقل الحواشى بهذا الغثاء الذى لا طائل تحته، وما أكثر ما قرأت فى بعض المطبوع من كتب التراث هذه الأيام حواشى ثقيلة بذكر المصادر ، ولا كلمة البتة عن ذكر شرح كلمة غريبة أو تفسير جملة غامضة بحيث لا يستطيع القارئ المضى حتى يرجع إلى المعجمات كأنه يطالع نسخة خطية لا مطبوعة ادعي لها التحقيق والتصحيح والتيسير .

وهذه ملاحظة أذكرها بالمناسبة عسى أن تكبح المتسرعين إلى (الإنتاج) على غير هدى وللاستعداد ولا بصيرة فيما يذكر وما لا يذكر .

* * *

لا أكون وفيت المحقق حقه إذا أهملت الإشادة بفهرسته المتقنة ، وبعضها تفرد بها ، لأنه أيقن أن حاجة مراجع الكتاب لاتسد بدونها ، ولكل كتاب حاجته الخاصة ، يفطن إليها من طالت ممارسته له وإمعانه فيه ، ولا بأس فى سردها للقارئ ليقدر عناية المحقق قدرها كما قدرت :

١ ــ فهرس الشواهد القرآنية .
٢ ــ فهرس القراءات القرآنية .
٣ ــ فهرس الأشعار .
٤ ــ فهرس الأرجاز .
٥ ــ فهرس الشعراء .
٦ ــ فهرس الأعلام .
٧ ــ فهرس الأصوات .
٨ ــ فهرس الصرف .
٩ ــ فهرس النحو .
١٠ ــ فهرس الدلالة .
١١ ــ فهرس الأقوال والأمثال .
١٢ ــ فهرس اللغات .
١٣ ــ فهرس الأدوات .
١٤ ــ قائمة المصادر والمراجع .
١٥ ــ فهرس الموضوعات .

أما الكلام على عمل الأخفش وما يؤخذ عليه فموضوع آخر أرجو أن أقوم به قريبا بتيسير الله ، ولينعم المحقق بما أنعم الله عليه من إخلاص وتوفيق ونسأل الله له المزيد ، لقد وضع قدمه على الجادة التى كادت تخلو ، وتجنب بنيات الطرق المزدحمة بالأدعياء ، فأهلا بباحث نغتبط بتقدمه لخدمة الأمة وتراثها .

الأخطاء المطبعية فى الكتاب قليلة فى الجملة ، وهذه إضافة إلى جدولى المحقق ، يرى فيها رأيه لطبعة قادمة إن شاء الله .

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٨٧	١٠	كسر	كثّر	١٨٦	٥	مالى	ماعلىّ (وتحذف الحاشيةم ٧٦)
١١	ح٢٩٦س	عن ما	عما	١٩٥	٧	تغفر	يغفر
١٧	١٢	تجوز	تجىء	٢٠١	١٣	مسموع	سامع
٢٠	٧	لايصرف	يصرف	٢٠٣	٥	من	(أى) (لعل هنا سقطا)
٢٣		(لعل بعد الآية	سقطا)	٢١٦	١٢	طنع	صنع
١٠٠	١٦	أريت	ريتُ	٣٢٣	٣	الفصحاء	الفصحاء(بالعدية)
١٠٤	٦	خمرِذى	خمرذى	٣٤٢	١	كلُّ نفس لمّا	كلّ نفس لما
١٠٧	٨	كلُّ	كلّ	٣٧١	٣	صرف	ظرف
١٤٣	٦	أنسأت	نسأت	٣٨٢	٨	قيل	وقيل
١٤٦	٨	عالم وكل	عالم كل	٤٢٢	٣	اليهود	الهود
١٥٠	١٩	إذا	إذ	٤٢٣	١٤	ليس	لسن
١٧٥	٩	ذلكن	فذلكن	٤٣٣	٢	أجرته	آجرته
١٧٧	١١	يقولوا	تقولوا	٤٣٤	٢١	الجندل	الجذل
١٧٩	١٢	حنيثات	خبيثات	٤٤٣	١٣	، هو	هو ،
١٨٠	٢٣	دفاعَ	دفاعُ	٤٤٥	١٩	سواء العشر	سوى العشر
				٥٣٧	(١)	بعاد غير ممنوع	بعادٍ ممنوع

سعيد الأفغانى
عضو المجمع المراسل من سورية